

## عبر رقم مليون يوميات الجنون السوري

بعد إلغاء عرضها في السابق، انطلقت المسرحية التي ألفها بسام جنيد وأخرجها فرحان الخليل على خشبة المسرح القومي في اللاذقية. نص ذكي يحاكي اللحظة الراهنة بكل حاسوبيتها

### صهيب عنجربي

خمس أيام فقط عاشتها مسرحية «عبر رقم مليون» على خشبة المسرح القومي في اللاذقية، بعدما ألغيت عرضها في مرة سابقة، وأثارت أخذاً ورداً حول الأسباب والدوافع. (الأخبار 2014/5/8). المسرحية التي كتب نصها بسام جنيد، وأخرجها فرحان الخليل (إنتاج «البيت العربي للموسيقى» بالتعاون مع المقاهي الثقافية في اللاذقية) استطاعت أن تأخذ جمهورها في رحلة داخل فصل من فصول جنون المأساة السورية، من دون أن تسقط في فخ التكلّف والمباشرة. لبنة النجاح الأولى كانت نصاً ذكياً، عرف كيف يؤسس لعلاقة متينة مع المتلقي، مشتغلاً على تفاصيل دقيقة في بناء شخصيته الوحيدتين. ينطلق العرض من ذروة درامية باتت - رغم افتراضيتها في العرض - حاضرة في يوميات الوجدان السوري: عاشور وأبو سونيا على مركب في عرض البحر، يبحثان عن شاطئ لجوء. تتولى الحوارات عقد مقارنات غير مباشرة، بين الحياة التي اختارها الهروب



بسام جنيد واحمد عاشور في مشهد من العرض

منها، وتلك التي يتطلعان إلى الحصول عليها في الملجأ المأمول كما بين بطليبه، بشخصيتينهما الذاتية والباشرة، حدود التناقض: عاشور البسيط والمباشر، وأبو سونيا المنقّف والمُدعى. الهروب من الحرب ليس الرابط المشترك الوحيد بينهما. ثمة أيضاً الهروب من ماضٍ أقدم، ماضٍ يخض كلاً منهما على جده، مليء بالخيبات، والخianات، والتناقضات.

### كل العناصر المسرحية سخرت لخدمة الممثلين

شانها في ذلك شأن الشخصية الخالصة «نزار»، ذلك الغائب الذي يأخذ حيزاً كبيراً من حوارات الشخصيتين. نكتشف لاحقاً أنه ليس كائناً من لحم ودم، بل هو معادل موضوعي، أشبه بمشجب تعلق الشخصيتان الأساسيتان عليه فصولاً سوداء من ماضيها الشخصي. لا تصل الرحلة نحو اللجوء إلى نهاية ما. يكتشف المشاهد أنها رحلة متخلية. إنها حلقة في سلسلة رحلات يتسلق بها نزيلا «عبر رقم مليون» في مصح لا يُحدد له العرض ماهية مكانية، تاركاً باب التأويل مفتوحاً على إجابة وحيدة: المصح السوري. ورغم أن حل «اللعبة المسرحية» ليس جديداً، أو مُبتكراً، غير أن صنّاع العرض نجحوا في توظيفه، فخلق مُبرراً لبعض المقولات الخطابية التي كان العرض مُصراً على طرحها. وأي مبرر منطقي يُمكن أن يكون مقبولاً أكثر من لعبة يؤذيها مجنونان داخل عنبر؟ مخرج العرض أفلح في اعتماد شكل إخراجي بسيط، متخفف من كل ما لا لزوم له. على سبيل المثال، لم يُرهق عرضه في سبيل تقديم مفاتيح تخبرنا أن بطليه يقبعان داخل مصح عقلي، بل اكتفى بالإحالة التي يأخذنا إليها العنوان المستوحى من «عبر رقم 6» لأنطون تشيخوف. كما كان الإخراج سلساً، وهادئاً، والديكور بسيطاً وانيقاً. كل الأغراض المسرحية سُخرت لخدمة الممثلين، ومنطوقهما. بدورهما، قدم بسام جنيد (بدور أبو سونيا)، وأحمد عاشور (بدور عاشور) أداءً لافتاً. وبدا جلياً أن كلاً منهما قد اشتغل على ماضٍ مُفترض لشخصيته، فلم يضعنا أمام شخصيتين منبختين عن كل ما سبق الراهن الدرامي. على العكس من ذلك، خرجت من جعبة كل منهما حياة كاملة، حضرت تجلياتها أمام المتفرج على امتداد ساعة وعشر دقائق هي زمن العرض، الذي كان من شأن اختزاله قليلاً أن يُبقي الوتر المسرحي مشدوداً ورشيقاً، ويُنفذ من بعض لحظات التراخي التي شابته وهذت إيقاعه بالهبوط.

الماسي المعهودة التي تعاني منها المرأة في معظم المجتمعات. روى لنا مثلاً قصة امرأة عقيم، وأخرى استجابت الألهة لدعائها فمُنحتها ابناً كانت قد نذرت أن تسميه اسماً مُركباً تتداخل فيه الديانات والطوائف. كما اختار لماضي نديمة/البطلة المحورية تلك الثيمة المعهودة عن طفلة زوّجها أهلها برجل يكبرها بكثير، ثم يبدأ بتقديمها لأصدقائه، ويشرف على تحويلها إلى راقصة تبيع جسدها. ويبدو أن موضوع الحرب والتشرد الناجم عنها قد دفعا الكاتب إلى الجنوح نحو منطوق حاول أن يكون وجدانياً ومؤثراً، فأوغل في شعرية أخذت شكل الكائنات والمرائي، ما فرض نوعاً من الرثابة، وخلق في كثير من الأحيان قطيعة مع المتلقي. قطيعة يبدو أن المخرج حاول تلافيها عبر الاستعانة ببعض المؤثرات الخارجية التي سبق أن حجرت مكاناً لها في الوعي الجمعي. بطالعنا مرةً بمقطوعة شعرية بصوت الشاعر العراقي مظفر النواب «يا حزن»، وأخرى بشارة مسلسل «نهاية رجل شجاع»، من دون أن تضيف تلك المؤثرات أي قيمة درامية مضافة. التوفيق الذي جاني على صطوف كاتباً، حالفه مخرجاً. أجاد ملء الفضاء المسرحي بممثلة وحيدة، وحبال غسيل أحسن استغلالها سينوغرافياً، ودلائياً. كما يُسجل له، تمكنه من استغلال قدرات ممثلته الوحيدة الديكور، والأزياء بدورها أفلحا في أداء الوظائف المطلوبة منهما، كما أسهم تصميم الإضاءة في خلق مشهدية أنيقة.

صهيب ...



من كتاب «هراهير» لفيليب غلوك الذي يصدر عن «دار أركان» في «معرض الكتاب الفرنكوفوني في بيروت» هذه السنة.